أحدث الوسائل

لتوفير سعادة الطفل فى امريكا

بقلم المربية الفاضلة السيدة منى صدقى

ميادين الخدمة الاجتماعية سواء فى مصر الناهضة أوفى البلاد الأمريكية كثيرة متعددة فثمة خدمة اجتماعية طبية ، وأخرى للعونة المـالية، ومنها ما يعنى بالشيخوخة العاجزة ومنها ما يحنو على الطفولة الناشئة ، وغيرها وغيرها من ضروب الخدمات الاجتماعية . ومن أبعد هذه الخـدمات شأنا وأبعدها شأوا وأوسعها نطاقا فى أمريكا خدمة الطفولة . ولعل حبنا للأطفال ، ولعل تقديرنا أن الغلبة على أى مشكلة اجتماعية تكون اضمن وأيسر اذا ماعولجت فى النشء وهم بعد فى سن الطفولة ، لعل هذا وذاك هما السر فيما يشاهد من الاقبال العظيم على العناية بأمور الطفل .

وكانت أولى الخدمات الاجتماعية للأطفال تدور حول احتياجهم الى ضرورات الحياة الأولية ، أعنى حاجتهم الى الطعام واللباس والمـأوى . فأقيمت المنشآت وملاجئ الأيتام لتكفل لهم ذلك . ولما أن توافرت للأطفال هـذه المقومات الضرورية وتم تدبير أمرها ظهرت طرائق جديدة أوفى من هـذه بأغراض العناية بالطفولة . فرأى البعض أن حاجة الطفـل لاتقتصر على الطعام واللباس والمـأوى اذا كان المراد به أن يكون عضوا نافعا فى المجتمع ، ومن هنا تفرع ميدان الخدمة الاجتماعية للأطفال الى ميادين عدة ، اختص بعضها بالعنـاية بأمر الأطفال جسديا وبعضها بتحرى الموضع الملائم لهم مدرسيا ، وعنى بعضها بالأطفال الذين كان مقبوضا عليهم لمخالفة قانونية ،وتكفل بعضها الآخر بالذين نكبوا بفقد البصر أو فقد ذراع أو ساق أو غير ذلك من العاهات والأمراض ، ومن المشتغلين بالخدمة الاجتماعية من يصرفون همهم الى تعهد اطفال العائلات ،ومنهم من يهيئون للأطفال الملعب لرشيد الصحى ومنهم طائفة اشتغلوا بدراسة ما يحتاج إليـه أطفال الريف وأخرى بما يحتاج إليه أطفال المدن . وفى الواقع إن هناك هيئة للخدمة الاجتماعية لكل مرحلة من حياة الطفل من ساعة ولادته حتى يبلغ أشده ، ويزاول عمله ويتخذ زوجه .

ولكى يتسنى أن أعرض عليكم فكرة عن ميادين خدمة الأطفال فى أمريكا ، قد استبحت لنفسى تقسيم هذا النشاط الاجتماعى بوجه عام إلى خمسة أقسام : قسم صحة الطفل ،

وقسم تربية الطفل وتعليمه ، وقسم اللعب والرياضة ، وقسم العناية بالأحداث المعوزين والمشردين والمجرمين ، وقسم توظيف الأحداث. وهـذه الأقسام جميعها متداخل بعضها فى بعض، وأنتهز هذه الفرصة لتنويه بأن معظم الخدمات الاجتماعية تعمل معا على أوثق اتصال بحيث يستطيع كل فرد محتاج أن ينتفع بجميع موارد الجماعة .

ونحن إذ نبدأ بالكلام عن رعاية صحة الطفل إنما نبدأ بالبداية ، وذلك أنه قبل ولادة الطفل تكون الحامل موضع عناية طبية "مركز العناية بالأمهات الحوامل" Prenatal centre وفى هذا المركز طبيب أو ممرضة تستطلع الحامل فى أمر صحتها و ترشدها إلى وسائل القيام على صحة الطفل وكيف تصنع ثيابه وكيف يكون طعامه واستحمامه وما يجب اتباعه من نظام ليشب الطفل سليم البنية معتمدا على نفسه رشيدا وهناك بعد الوضع اجتماعات للامهات كما هو الحال هنا فى مصر و يسمونها "عيادات الأطفال الأصحاء" Well-baby Clinics ويأتى الأمهات بأطفالهن هنا لا لأنهم مرضى بل لكى يبقوا فى كمال الصحة والعافيـة . وفى هـذه العيادات يقاس الأطفال و يوزنون فى فترات منتظمة للتحقق من نموهم طبيعيا . فصلا عن تحصينهم بالمواقع ضد الجدرى والدفتريا . وفى هـذه الاجتماعات يدور البحث فى أمر تنشئة الأطفال وتعليمهم، فقد ترغب إحدى الأمهات مثلا معرفة العلة فى أن طفلها يرضع إبهامه ، وكيف السبيل إلى إقلاعه عن هذه العادة ، أو لعلها ترغب فى معرفة ما اصطنعه غيرها من أمهات لإطعام أطفالهن كل ما هو نافع لهم ، وتتباحث الأمهات فيما بينهن فى هذه المسائل تحت إرشاد خبير أو خبيرة فى شؤون تدبير الطفل .

فإذا مرض الطفل أو احتاج أمره إلى رعاية طبية فهنالك بطبيعة الحال العيادات المجانية والمستشفيات وقد ألحقت بها مرشدة طبية اجتماعية Medical Social Worker والمهمة المنوطة بها هى تعيين العائلات التى تعالج بالمجان والعائلات التى تؤدى أجر يسير ، وما إلى ذلك، كما أنها تراعى اتباع الأمهات لإرشادات الطبيب مثال ذلك أن الطبيب قد يصف لطفل مريض شرب رطلين من اللبن كل يوم ، ولكن أبويه لا قبل لهما بهذا النفقـة فان المرشدة الاجتماعية تتصـل بموظفى المعونة أو المكاتب المخصصة لتوزيع اللبن بالمجان أو الجمعيات الخيرية الأهليـة ليتم للطفل الحصول على اللبن اللازم له ، كذلك الحال إذا احتاج الأمر إلى إجراء عملية جراحية للأم فإن المرشدة الطبية الاجتماعية هى التى ترسل أولاد الأم المريضة إلى إحدى مكاتب إيواء الأطفال لتمكن العناية بهم فى دار من دور الحضانة Foster Home حتى تتعافى أمهم . وهناك الممرضات الزائرات اللاتى يعملن على اتصال وثيق بالمستشفيات والعيادات وهن يعدن المرضى فى بيوتهن بل يحضرن كل يوم مرة ليتوانين بأنفسهن حمام المولود الصغير والعناية بأمره إذا شاءت الأم ذلك .

وهنالك عدد كثير من مكاتب الصحة المستحدثة — وقد عمد إلى إنشائها منذ سبع سنوات أولوالأمر فى وشنطن — وهذه المكاتب تبذل المال لمختلف الولايات بقدرما فى هذه الولايات من الفلاحين حتى يتهيأ لأهل الريف — وهم فى معظم الحالات ناءون عن المستشفيات والأطباء — أن ينالوا مايحتاجون إليه من عناية طبية . وتتخذ بعض الولايات هذا المال للنفقة على عيادات متنقلة . وتقام هذه العيادات فى عربات كبيرة من عربات النقل مجهزة بجميع ما يلزم من المعدات الحديثة الواقية . و يتنقل الأطباء من قرية إلى أخرى يبذلون للناس خدماتهم فى معالجة الأبدان والأسنان و بخاصة الأطفال فى سن الدراسة . وثمة فرع آخر بخدمة الصحية لأطفال الريف مهمته إيفاد الأطباء والممرضات إلى الأقاليم لتعهد الأطفال المصابين بالعاهات والذين يحتاجون إلى الرعاية .

أما مراكز الخدمة الاجتماعية للأطفال فى ميدان التربية والتعليم فأولى مراحلها "عيادات الخصال Habit clinics أو لعيادات السيكولوجية " لتوجيه الطفل . وهم لا يأتون بالطفل عادة الى تلك العيادات إلا اذا رأى والده أن أمره معقد وأنه يحتاج إلى تعويده عادات أخرى حميدة للتغلب على هذه الحالة . فإذا كان الطفل فى سنته الأولى أو الثانية مثلا شديد الاستحياء أو أنه يفار من غير موجب من أخيه أو أخته المولودة بعده أو تنتابه نوبات الغضب فيلقى بنفسه إلى الأرض وقد يضرب رأسه أو بعض يده أو غير ذلك جاء به والده إلى عيادة الخصال . وفى أغلب الأحوال يتضح أن الوالدين لا الطفل هما اللذان يحتاجان إلى التربية والتعليم . فيعمل كل من الطبيب النفسانى والمرشد الاجتماعى بالاشتراك مع الوالدين فى التغلب على متاعب الطفل . ولا تقتصر عيادات الخصال أو مراكز توجيه الطفل على الأطفال الصغار بل يتردد عليها المراهقون من الفتيان والفتيات ، وكثيرا ما يقتصر الأمر على مجرد العدول بالطفل عن عادة ذميمة الى ما هو أفضل وأمثل .

ولقد علمت أنه افتتحت أخيرا فى القاهرة دار على غرار ما يسمونه " مهد الأطفال (Crèche) " لرعاية أطفال العاملات أثناء غيابهن فى أعمالهن . وهذا النظام شائع كل الشيوع فى أمريكا . وكانت هذه الدور عند افتتاحها إنما ترعى الأطفال فى النهار ، ولم يكن للمرشدين الاجتماعيين اتصال بها . وأما الآن فقد عظم شأنها باعتبارها الخطوة الأولى فى التعليم النظامى لأطفال العاملات . فيتعلم الأطفال الصغار فى الثانية أو الثالثة من عمرهم مراعاة النظافة واللعب فى سلام مع غيرهم ، و يتعلمون الأناشيد والحكايات ، ثم هم يلهون فى الهواء الطلق وفى نور الشمس و يتوافر لهم الطعام المغذى وقيلولة الظهر بعد الأكل . وهذه الدور دور الأطفال النهارية Day Nurseries كما يسمونها — شأنها فى تعليم الوالدين — إذ ترى الأمهات كيف يكون ترويض الأطفال هنا من غير صقع وتعنيف ، فيعملن على تنشئة أطفالهن على هذا المنوال . كما يرين هنا نوع الطعام الذى يعطى للأطفال ومقداره فيعملن

على تدبير طعام الطفل فى البيت على هـذا المنوال . ثم إن للأمهات أن يحئن بالأطفال ومشكلاتهم إلى المرشد الاجتماعى فى دار الأطفال للتباحث فى أمرهم . وقد شهدت فى إحدى دور الأطفال التى تطوعت لها فى وقت من الأوقات ولدا صغيرا لم يتجاوز عمره سنة ونصف سنة أخذ يتحول من ولد مطيع وادع الى ولد صخاب مزعج وكان يتهدد الأطفال ويخطف لعبهم . وقد أخذنا نلاحظ على الولد أنه بدأ يترنح . و بالاستطلاع علمنا من أمه أن أحد الأقرباء كان فى الأيام الأخيرة يعاقر الخمر أمام الطفل فاذا أخذ منه السكر ظهرت منه أعمال الشراسة والعنف . ولما كانت الأم طوال النهار فى عملها بعيدة عن البيت فلم تكن تلحظ ما يتركه حال السكير وتصرفاته من أثر فى ولدها . ونحب أن نضيف هنا أن الوالدين كثيرا ما يساهمان فى تهيئة دور الأطفال بما يقدمانه من معونة فى طلاء الأثاث وصنع الستار وما الى ذلك .

وحين يتجاوز الطفل سن الخامسة — و يكون قد أتم مرحلة دور الأطفال النهارية — تفتح له المدارس العامة أبوابها ؛ والتعليم فى تلك المدارس إلزامى لجميع الأطفال ؛ ويقوم بالخدمة الاجتماعية فى المدرسة مرشدة اجتماعية تعرف بالمعلمة الزائرة (Visiting Teacher) وهى تزور منازل الأطفال وتتباحث مع والديهم وتقفهم على سيرهم فى المدرسة. فاذا كان الطفل مثلا متأخرا عن أقرانه فى الفصل أو كان لا يحضر المدرسة أو كان يبدو عليه التبرم والضيق بها رجعوا فى ذلك الى المعلمة الزائرة التى تعمد الى الطفل والى أسرته والى معلميه محاولة استجلاء المشكل والوصول الى حله . وقد يتبين فى كثير من الحالات أن مستوى ذكاء الطفل أقل منه فى الأطفال الآخرين ، ومن ثمة يشعر بأنه دونهم ؛ أو قد يكون الطفل ملزما بتأدية عمل من الأعمال بعد انتهاء اليوم المدرسى فيحول ما ينـاله من التعب دون إجادته فى الدروس .

واشتغال الطفل بعد الدراسة يفضى بنا الى موضوع تحرله خطره ، ففى كثير من أنحاء الولايات المتحدة نظام يسمونه بنظام شهادة العمل Work certificate وهذا النظام يسير على الوجه الآتى : كل طفل لم يتجاوز السادسة عشرة (وأحيانا الثامنة عشرة) لا يصح اشتغاله بعمل من الأعمال حتى يكون قد أتم تعليمه المدرسى ومدته ثمانى سنوات للدراسة الابتدائية وأربع سنوات للدراسة الثانوية أو تكون عنده شهادة العمل . وهذه الشهادة لا تعطى لتلميذ فى المدرسة إلا إذا ثبت بفحص بنيته أنه قدير على الاضطلاع بالعمل مع استمراره فى الدراسة ، و بعد التحقق من أن أسرته فى حاجة ماسة الى المال ، و بعد التحرى عن نوع العمل للاستيقان من أنه مأمون الضرر على الولد . وينص القانون الامريكى على أن كل صاحب عمـل يستخدم صغيرا دون التحقق من أنه يحمل ترخيصا بالعمل يعد مخالفـا

لقانون و يقضى عليه بالغرامة ، وهذا النظام يجرى على أحسن حال حين يكون التعليم إلزاميا وإلا تعذر على السلطات التعرف على مكان الصغير وعمله .

ويحسن بنا قبل أن نترك موضوع الخدمة الاجتماعية للاطفال فى ميدان التربية أن نلم بميدان واسع الرحاب وهو ميدان تعليم ذوى العاهات و يشمل ذلك عدة المنكوبين بالعمى أو الصمم أو البكم أو فقد عضو من الأعضاء كالساق أو الذراع فى حادث من الحوادث أو من إصابتهم بعاهة فى ميلادهم أو الذين أصابهم المرض كشلل الطفولة (التهاب المادة السنجابية النخاعية (Polio-myelitis) أو الذين فسدت صحتهم من اضطراب مزمن فى القلب أو مرض الكلى أو التدرن الرئوى . وأهم شىء فى معاملة هؤلاء الأطفال المنكوبين هو : (أولا) العمل على أنه يشعر الصغير بأنه عضو عامل ذو قيمة فى المجتمع على الرغم من عاهته (ثانيا) تنشئته بقدر المستطاع على أن يكون مستقلا معتمدا على نفسه (ثالثا) تعليمه وسيلة من وسائل كسب معاشه متى أمكن . ولقد كتب أعيش على مقربة من مدرسة حكومية كبرى للعميان . وكان من المناظر المعتادة المتكررة أن يرى تلاميذ العميان فى سن الدراسة الثانوية فى غدوهم ورواحهم يسيرون وحدهم على علم كاف بالطريق وثقة تامة بالنفس وقد أغناهم هذا العلم وهذه الثقة عن الدليل يأخذ بيدهم ويهديهم .

وإنى لاذكر زيارة قمت بها لهذه المؤسسة التى تعنى فيها أطفالا من أعمار متفاوتة تتراوح بين الخامسة والسادسة عشرة ، وقد شاهدت فى قسم البنات منها فتيات تتراوح أعمارهن بين العاشرة والثانية عشرة يصنعن طعامهن فيتمكن بتجهيز الخضراوات وطهيها وتقديمها كل ذلك دون أى مساعدة خارجية ، وكن يتعلمن أيضا الحياكة باليد وبآلة الخياطة ، وكذلك أشغال الابرة والكروشيه . وكان الأطفال العميان يتعلمون فى تلك المدرسة كل ما يتعلق بالعالم الذى يعيشون فيه بواسطة نماذج خاصة . فكان عندهم مثلا نموذج لحبة القمح يبلغ طوله قدمين . وإلى جواره حبة القمح الحقيقية حتى يتعرفوا على الحجم الطبيعى ، كما كانت عندهم حيوانات وطيور محنطة الى جانب عدد من الحيوانات والطيور الحية والنباتات النامية ليتلمسوها وكان الغرض من هذ جميعه أن تكون لديهم عند إتمام دراستهم فكرة عن العالم تعادل تلك التى عند إخوانهم المبصرين . وبالاضافة إلى ذلك يتعلم هؤلاء الأطفال بعض الحرف التى لا تستلزم الإبصار كصناعة السلال والمكانس . وكثيرا ما يلحقون بعد إتمام دراستهم بورش مخصصة للعميان كل فى العمل الذى يتقنه . ولما كان كل الموظفين بهذه الورش ممن نكبوا فى بصرهم فهم لا يشعرون بأنهم دون غيرهم . وبهذه المناسبة أذكر أن معظم العميان يتعلمون استعمال الآلة الكاتبة . وقد رأينا فى معرض نيويورك العالمى الكثيرين منهم يعرضون أن يكتبوا لزوار المعرض رسائلهم على الآلة الكاتبة . وقد اتخذت الوسائل لتعليم الأطفال العميان كيف يقضون أوقات فراغهم . فقد دون الكثير من الكتب

الأدبية الشهيرة بطريقة " بريل " ليستمتع العميان بقراءتها ، كما أن الكثيرات من الفتيات النصيرات قد شغفن بالموسيقى من غناء وعزف . وأصبحت تتوافر الآن بعض النوتات الموسيقية المكتوبة بالبريل ، وتقوم بعض المجلات بإصدار طبعة خاصة من أعدادها مدونة بالبريل ليتسنى للعميان الإحاطة بما يجرى فى العالم . هذا بالإضافة الى ما يمدهم به الراديو من معلومات .

وهناك خدمة أخرى للعميان تتولاها جمعية الصليب الأحمر (ويقابلها فى مصر جمعية الهلال الأحمر) ويتطوع كثير من السيدات فيقمن فى أوقات فراغهن بنقل الكتب الى طريقة بريل ، وبذلك تزايد عدد كتب العميان عاما بعد عام . وتفتح الجامعات فى أمريكا أبوابها للعميان وتسمح لهم بالالتحاق بها فيستكملون ثقافتهم بما يستمعونه من محاضرات . ورصدت بعض الولايات هناك مبالغ من المال لاستئجار من يقرأون الكتب الجامعية عليهم . وانى وإن كنت قد أطلت الكلام هنا عن العميان فذلك لأنى علمت بالحاجة الشديدة فى مصر الى زيادة الاهتمام بأمرهم .

وتوجد بطبيعة الحال مؤسسات أخرى للصم والبكم ، كما توجد فى مدارس التعليم العام فصول خاصة بالأطفال الذين نكبوا بفقد عضو من الأعضاء أو تعطيله بسبب حادث أو مرض . أما الأطفال المرضى بأمراض القلب أو التدرن الرئوى فلهم مدارس يكون النشاط المدرسى فيها محدودا وتتخلل أوقات الدراسة فيها فترات طويلة للراحة وتعطى الدروس فى الهواء الطلق وتقدم لهم أكلات خفيفة بين الوجبات ويوجد قسم خاص فى ادارة التعليم يقوم بايجاد عمل مناسب لهؤلاء الأطفال بعد إتمام دراستهم بحيث لا تقف عاهتهم فى سبيل كسب عيشهم . ويتعاون أصحاب الأعمال إلى حد كبير فى هذا الغرض ، وكثيرا ما يقررون أن بعض ذوى العاهات الذين استأجروهم عن هذا الطريق يؤدون عملهم على وجه يفوق ما كانوا يرجون .

ولقد صادفت فتاة كانت تشتغل بالخدمة ثم أصيبت بمرض أفقدها حاسة السمع ، وكان ذلك سببا فى الاستغناء عنها وانقطاع رزقها فألحقتها هذه الادارة بمحل للكى اقتصر عملها فيه على كى الملابس طوال اليوم ، وهكذا لم يحل فقدانها السمع دون كسب عيشها .

* * *

ننتقل الآن الى مشاكل الأطفال المنكوبين بنقص عقلى ، وشأن هؤلاء كشأن من تقدم ذكرهم من الأطفال المنكوبين بعاهات . فالطفل الذى يكون من النقص العقلى بحيث لا يملك تصريف أمره له مؤسسات خاصة تعنى به الى أجل غير محدود . فاذا كان لا يزال مالكا مسكة من العقل والذكاء عامته المؤسسة كيف يعنى بنفسه وكيف يقوم ببعض الأعمال العادية البسيطة كالكنس والحفر والردم وما إلى ذلك . أما المشكلة العظمى فهى مشكلة

الأطفال الذين ليسوا من الغباوة وانطماس العقل بحيث يحتاجون الى مؤسسة تحجر عليهم وتتولى الأمر عنهم ، وليسوا فى الوقت نفسه من الذكاء بحيث يمكنهم أن يعولوا بأنفسهم ويكسبوا عيشهم ويجتنبوا السوء . وليس يخفى عليكم مايترتب على قرار يتخذه طفل لايتوافر عنده الذكاء الكافى للمفاضلة بين أى الطريقين يسلك .

فكم من طفل من هؤلاء ساقه ضعف عقله الى دخول محاكم الأحداث لأنه ارتكب جرما ما كان ارتكابه له إلا بدافع التقليد أو الايعاز . كما أنه لاشك فى أن القضاة الذين يملؤنا الأسى حين نقرأ فى الصحف عن وجودهم مطروحين على قارعة الطريق انما هم نتيجة مسلك فتيات من هذا النوع المنطمس العقل اللواتى لاإرادة لهن إلا ما يملى عليهن . كذلك يدخل فى عداد هذه الفئة الأمهات الصغيرات السن الجاهلات بمبادئ رعاية الطفل اللواتى يهملن أطفالهن و يجنين عليهم بذلك شر جناية . وهنالك وسائل شتى متبعة فى الولايات المتحدة لحل هذه المشكلة ، ونعيد القول بأنها جميعها تتفق فى إشعار الطفل بأن له قيمته فى المجتمع ، وأنه مستقل غير خارج على القانون . كما أن له نصيبه من السعادة . ففى إحدى الولايات مثلا نظام يقضى بتعهد الأطفال والبالغين من هؤلاء فى المدارس الحكومية المخصصة لضعاف العقول لمدة كافية يسلمون بعدها الى ذويهم . وذلك بعد تعقيمهم ويجرى هذا التعقيم لا عن اعتقاد بأنهم لامحالة يعقبون نسلا منحط الذكاء ولكن لأنه من المحقق أنهم على درجة من الغباء بحيث لا يستطيعون رعاية أطفالهم . ويزاول الذين يخلى سبيلهم من تلك الفئة بعض الأعمال غير المعقدة فتقوم الفتيات بالخدمة المنزلية البسيطة لكسب عيشهن و يشتغل الأولاد بالفلاحة أو بما سهل من بعض أعمال الورش .

وقد لايحتاج بعض هؤلاء الأطفال الى التعليم فى المؤسسات اذا قدر لهم قسط ولو يسير من الذكاء فيلحقون بالفصول الخاصة فى مدارس التعليم العام حيث يتلقون أقل مقدار من الدراسة النظرية ، وأكبر مقدار من التمرينات اليدوية . ويراعى دائما اجتناب مقارنة هؤلاء الأطفال بغيرهم ممن هم أوفر ذكاء حتى لايشقوا بذلك مع العمل على ايجاد وسيلة لهم يكتسبون بها عيشهم بعد تخرجهم . ويجمل بنا أن نقرر هنا أن هؤلاء الأطفال رغم ما ينالونه من عناية ينطبق عليهم ما وصفهم به أحد المشتغلين بالخدمة الاجتماعية من أنهم " يعيشون كسيارة قديمة فى حركة مرور مزدحمة " .

* * *

واذا انتقلنا بالحديث عن الخدمة الاجتماعية الى ميادين التسلية فإنى أطرق موضوعا محببا الى الكثيرين منكم حيث أنى سمعت بالمجهود العظيم الذى يبذل هنا فى شأن أولاد الشوارع ، ومشكلة هؤلاء فى أمريكا تشبه بعض الشبه المشكلة فى مصر ،

إلا أن التعليم الالزامى مفروض على جميع الأطفال فى أمريكا يكفل لأطفالهم الاطمئنان عليهم خمس ساعات يوميا على الأقل فى مكان أمين يعملون تحت اشراف المراقبين من المدرسين . ولو أن هذا لم يقض هناك على كل احتمال لوقوع ما لا يحمد وقوعه من الأطفال . ومن ثم كان لزاما انشاء النوادى المدرسية للأولاد والبنات مما يقابل بالارتياح من القائمين على المدارس ومن محاكم الأحداث . وتنسب أوجه النشاط فى تلك النوادى ما تراه من ميولاتهم وتفكيرهم . ومن الحقائق المسلم بها أن لهم متعة فى حياة الأولاد والبنات فى سن المراهقة وقبله وهو الاطفال الذين يكونون من سنهم ومشاربهم ولذلك كان الغرض من هذه الأندية أن تكون مستساغة لهم لاشباع رغبة الاجتماع على وجه لا يخشى من ورائه ضرر بدلا من أن يتركوا هؤلاء صغار المتسكعون رفاقا لهم من بين من لا أخلاق لهم من أولاد الشوارع والأزقة . وهناك ملاعب فسيحة للعب الأطفال الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعاشرة وتشرف عليها عدد من الكبار ليوجهوا نشاط الأطفال ويدلوهم بفضل تجاربهم على ما فيه تنويع ألعابهم . والأندية المدرسية تعنى بالألعاب الرياضية والتمثيل والمباريات المنظمة كما تنظم معسكرات يقضى الأطفال فيها وقتهم بعيدا عن شوارع المدينة بحرها الشديد ابان الصيف .

ويجمل بنا ألا ننسى هنا ما يجب لتسلية أطفال الريف ، فان لهم فى مركز جمعياتهم الخاصة التى تجمع بين التسلية والتعليم ، وهذه الجمعيات توعاد وتمولها وزارة الزراعة وكليات الزراعة إلى جانب الهيئات الأهلية الزراعية ، وتوجه أعضاء العناية فى هذه الجمعيات إلى ما يهم الشباب الريفى ، ولعلنا نجد ما يصلح اقتباسه منها فى مصر وبخاصة وسائل الايضاح العملية (Demonstration) فمثلا قد يرغب أحد الأولاد والقيم بمشروع فى تربية الدجاج فيقرأ النشرات الحكومية فى هذا الموضوع ويتناقش مع رئيس المجموعة ومع أى شاب من جيرانه اشتهر بنجاحه فى تربية الدجاج وعندئذ يبدأ فى تنفيذ مشروعه ، وعندما يتم المشروع يدعو كل أفراد المجموعة فى مزرعته وهناك يشرح لهم ما اتبعه من الخطوات الموفقة فى تربية الدجاج ويخبرهم بتجاربه الخاصة وما صادفه من صعوبات وكيف ذللها ، ويبين لهم الأدوات اللازمة وكيف استعملها ، ويذكر لهم تكاليف وما ينتظره من أرباح عند بيع دجاجه . وترون فى هذا كيف يمكن لمجموعة كبيرة من الأولاد القرويين فى لا ينسى لهم قراءة نشرات الحكومة الفنية بأنفسهم أن يتعلموا بعض طريقة الشرح المستعملة كافة ما يلزم لإنجاح مثل هذا المشروع . وتقوم النساء بمثل هذا العمل فى بعض الموضوعات كحفظ الفاكهة والخضراوات وصناعة الملابس وزراعة الزهور الخ . وهذا النمط من التنظيم له مزية خاصة فى البلاد التى لا يلم جميع سكانها بالقراءة والكتابة . ولهذه النوادى القروية فى إبان الصيف مصايفها فتهيأ لهم الفرصة للاستمتاع بجمال الطبيعة فى تلك المصايف . وعندما نتكلم عن

التعاون بين مراكز النسلية ومحاكم الأحداث ومراكز ارشاد الطفل سأزيدكم تفصيلا فيما تؤديه هذه الهيئات من خدمات .

ونحن اذ نعرض لموضوع العناية بالأطفال المشردين والمهملين والمجرمين نطرق ميدانا واسعا فى البحث . ولعل أول ما اتجهت اليه أمريكا للعناية بأمر الأطفال كان منصبا على هذا الميدان . فقد كان هناك — كما أسلفت القول — ملاجئ تتكفل بالأطفال المشردين ولا زالت هذه المؤسسات موجودة الى الآن ولكنها ليست واسعة الانتشار كما كانت أول الأمر . وجرت العادة اذ ذاك أن يوضع كل طفل لا أهل له فى ملجأ من الملاجئ وقد يتفق أن يقضى الأطفال كل حداثتهم هنالك حتى يبلغوا الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرهم . غير أن الطفل وإن نشأ بين جدران خير الملاجئ فانه لا يعرف الا القليل عن العالم الذى نعيش فيه ، فاذا ماخرج الى هذا العالم وهو فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة بل العشرين أحيانا . فانه يكون فى حيرة من أمره . ولا شك أننا اذا رجونا من فتى تكفلته هذه الملاجئ أن يكون زوجا صالحا وأب أسرة صالحا وهو لم يعرف قط حياة الأسرة فانما نرجو مستحيلا . ولهذا أخذ القائمون على الخدمة الاجتماعية يبحثون عن طريقة عملية ناجحة لتربية هؤلاء الأطفال المشردين بحيث تضمن لهم حياة أقرب الى حياتهم فى بيوتهم وبين أهليهم ، ولا تتكبد الكثير من النفقات ، فقد اهتدى الباحثون الى أن الكثير من هؤلاء الأطفال ما كانوا ليتركوا بيوتهم لو تغيرت الحال فيها . وذلك أنه مثلا عند وفاة والد عن خمسة أطفال أو ستة تصبح الأم عاجزة عن أن تعولهم فتؤثر إرسالهم الى ملجأ على رؤيتهم يتضورون جوعا . وحياة الملجأ الى جانب مساوئها الكثيرة كثيرة التكاليف فقد دل البحث على أن كل طفل يدخل الملجأ فى أمريكا يتكلف حوالى العشرين قرشا يوميا لأن هناك تكاليف البناء العظيم وأجور من يعنون بالطفل ومن يطهون طعامه وينظفون مسكنه ، مع أنه لو عاش بين أهله وقامت أمه على خدمته والعناية بأمره لهبطت التكاليف الى نحو الثلثين وفوق ذلك تتهيأ للطفل فرصة أوسع ليصبح فردا كسائر الأفراد . وتبقى حقوق الأم مصونة محمية . وعلى هذا النحو أدخل نظام معاش الأم فى كثير من الولايات . ورغم استمرار الملاجئ فقد أصبح استعمالها يقتصر عادة على السكنى القصيرة ، فاذا احتاج الأمر الى بقاء الطفل بعيدا عن أهله مدة تزيد على بضعة أسابيع استعيض عن سكنى الملجأ بنظام آخر وقد يكون الملجأ مكانا مناسبا لإيواء الطفل اذا كان له أقارب يمكنهم التردد عليه حتى لا تنفصم رابطته العائلية . ومع ذلك فان هذه الملاجئ قد بدأ تعديلها فعلا بحيث تشبه حياة المنزل قدر المستطاع . فهناك نظام للملاجئ يطلق عليه اسم نظام البيوت الصغيرة (Small cottages) تحل فيه تلك البيوت الصغيرة المتعددة محل تلك البناية الواحدة الكبيرة الشبيهة بالسجن ولكل بيت من هذه البيوت سيدة تقوم عليه تعرف بأم المنزل (House Mother) يوكل

اليها عدد من الأطفال لا يتجاوز العدد المألوف فى عائلة طبيعية . أى بين ثمانية أطفال الى عشرة . وتتفاوت أعمار هؤلاء الأطفال فى كل بيت لكى يتهيأ للطفل الكبير مثلا أن يقدر معنى وجود إخوة وأخوات صغار له . وحتى يميز هؤلاء الأطفال مدى ما تحمله هذه الحياة من مسرات وما تقتضيه من تضحيات كما يذهب هؤلاء الأطفال كغيرهم الى المدارس حتى لا يختلف تعليمهم عن تعليم الأطفال الآخرين . وقد يدعون زملاءهم للسمر فى المدرسة للعب معهم فى البيت أو فى فناء الملعب الكبير . بل ترسل الأطفال أيضا الى الحوانيت لشراء طعامهم يعرفوا قيمة النقود حتى يأتى الوقت الذى يكتسبون فيه معاشهم بأنفسهم ، غير أن هذا النظام على الرغم مما يبدو من صلاحه لا يمكن مقارنته بما يلاقيه معظم الأطفال من عناية فى منازلهم و بين عائلاتهم . ولهذا تأثر الأمريكيون حديثا اتخاذ نظام منازل الحضانة Foster Homes لما تبينوه من أنها تفضل أحسن الملاجئ . وتختار بيوت الحضانة فى أمريكا بعناية عظيمة و يبذل جهد عظيم فى ملاحظتها عن كثب قبل إيداع الطفل فيها . وفى أثناء مقامه بها . ومن مزايا منازل الحضانة إمكان إيواء الاخوة والأخوات تحت سقف واحد كما يستطيع أن يتردد عليهم أقرباؤهم ، فضلا عن إمكان ايداع الاطفال بين أناس مثل والديهم جنسية ونزعة وديانة . و يلاحظ أنه إذا طال مقام الأطفال بعيدين عن والديهم فإنهم ينشأون على حب والدى الحضانة كأنهم أعمام لهم أو حالات ، أو كأنهم والدون جديدون اذا كانوا قد عدموا والديهم ، و يدفع لوالدى الحضانة نفقات معيشة الطفل بينهم مالم يتبنوه . ولا يفوتنا أن نضيف الى مزايا منازل الحضانة أن تكاليف الطفل فيها لا تزيد عن ثلثى النفقة فى الملجأ .

واذا كانت منازل الحضانة تراقب عن كثب فى حالة ايداع الطفل فيها فلا جرم أن يكون تبنى الطفل مدعاة لمضاعفة هذه الرقابة . وهناك الآن إقبال كبير على تبنى الأطفال فى أمريكا وقد روجت له المقالات الكثيرة فى مختلف المجلات ، وربما كان من أسباب هذا الاقبال أيضا ما تزعمه المكاتب الاجتماعية Social agencies من نجاح فى التبنى فى أكثر الحالات . إلا أن الحال للأسف لم تكن كذلك على الدوام . فعندما بدأت حركة التبنى لم تكن هناك اختبارات وافية للتحقق من أن الطفل جسميا وعقليا فى حالة طبيعية . كما جرت العادة وقتئذ بعرض الطفل للتبنى فى سن مبكرة جدا لا تعدوا أحيانا بضعة شهور . أى فى سن يتعذر فيها اجراء الاختبارات المعروفة بنجاح . وقد أدى هذا التصرف فى كثير من الحالات إلى خيبة فى الآمال مريرة لوالدى التبنى . فكثيرا ما كان الصغير الجميل ينمو و يصبح ناقص العقل ، كما كان ينمو الرضيع الذى تبدو عليه الصحة و يصبح طفلا مصابا بمرض سرى أو بالصرع . أما الآن بعد إدخال التعديلات على ملابسات تبنى الطفل فقد صلحت الأحوال .

وقد كنت أعمل حديثا فى مكتب اجتماعى يقوم بإيواء الأطفال وكذا بالتبنى، فكنا قبل أن نعرض الطفل للتبنى نبذل قصارى الجهد فى جعل أقاربه يتولون كفالته والعناية بأمره فاذا استحال ذلك، وضعناه فى منزل للحضانة لمدة أشهر وقد يبقى فيه عدة سنين إذا ظهر أن استعداد الطفل للتبنى لم يزل محل شك . وفى الوقت الذى يعوده الطبيب فى منزل الحضانة مرة فى الشهر تختبر أيضا عقليته و تقاس درجة نموذكائه ومو هبه للتحقق من بلوغه على الأقل المعدل الطبيعى الذى نتوقعه له كما يلاحظ تكوينه العاطفى وقوة شخصيته حتى نستطيع معرفة أى نوع من الوالدين أكثر موفقة له ؛ فاذا انتهينا إلى أن الطفل عادى أو فوق العادى نبدأ بالبحث عن أبوين الملائم له تماما بعد أن نكون قد استوفينا الدراسة الاجتماعية للوالدين الحقيقيين أو للجدين أو الأعمام أو الخالات . وما كنا نحتاج فى العادة إلى بذل مجهود كبير فى البحث عن منزل بأويه إذ كان أمامنا خمسون طلبا مستوفية لكل طفل معد للتبنى، وكنا نستقصى فى البحث و لتحرى للتحقق من صلاحية منزل ما لتبنى الطفل، فاذا ما وجد أن المنزل المعروض ملائم من كل الوجوه أودع الطفل فيه لمدة سنة على سبيل التجربة فاذا ما انتظم الطفل فى تلك الحياة المنزلية خلال هذه السنة جاز لأهل هذا المنزل تبنيه بموافقة المكتب الاجتماعى .

وهناك أطفال يختلفون قليلا عن تلك الفئة السالف ذكرها ويسمون " بالأطفال المهملين" neglected children ولهم هناك مكاتب خاصة تقوم على خدمتهم تسمى بمكاتب حماية الطفولة و يكون المرشدون الاجتماعيون فى تلك المكاتب عادة على اتصال وثيق بالمحاكم، وذلك لوجود قوانين صارمة خاصة بالطفل الذى يهمله أو يسىء معاملته شخص ما وهناك فى واقع الأمر لمحاكم الاحداث سلطات خاصة تستطيع بواسطتها وضع البالغين تحت المراقبة اذا اقتضت حماية الطفل ذلك

* * *

و يقضى بنا ذكر محاكم الأحداث الى موضوع الأحداث المجرمين الذين هم موضع الاهتمام فى أمريكا كما هو الحال فى مصر ؛ ويحسن بنا هنا البدء بذكر شىء عن المجهودات التى تبذل فى تفادى دخول الطفل ساحة القضاء قبل أن نعرض لما يجب عمله وهو داخلها، فقد سبق لنا أن ذكرنا مراكز التسلية Recreation centers كوسيلة لوقاية الأحداث من الإجرام وأود أن أذكر هنا مثلا طريفا حل فيه البناء محل الهدم عن طريق الترفيه : هناك أسطورة تقول : إن الساحرات فى ليلة الهالوين All Hallowed's Eve فى آخر شهر أكتوبر يخرجن ليفسدن فى الأرض، وقد درج الأطفال على عادة سيئة مرذولة احتفالا بتلك الليلة، فهم يعيثون فيها و يتلفون، ولا يتمثل لخيال مقدار الخسائر التى تقع فى المدن الكبيرة فى تلك الليلة الواحدة، فهم يسرقون النباتات المزروعة فى الأصص و يقتلعون أبواب الحدائق، وقد يحدثون

التلف بالسيارات ، وأخيرا سئم رجال بوليس إحدى المدن الكبيرة من بقائهم ساهرين طوال هذه الليلة لاعتقال هؤلاء الأطفال ، فاتفق أمرهم على أن يقيموا فى تلك الليلة حفلة سمر كبيرة ويدعون إليها جميع أطفال المدينة فى إحدى مراكز التسلية على أن يعودوا الى منازلهم مباشرة بعد انتهاء الحفلة ، وفعلا لبى الأطفال الدعوة وتمتعوا بوقت أطيب مما لو قضوه فى سرقة الناس و إتلاف ممتلكاتهم

وقد وجد فى اليوم التالى للحفلة أن التلف فى المدينة كاد يكون معدوما فى تلك الليلة ، وأن حسن التصرف فى ليلة واحدة منع تقديم العدد الكبير من الأطفال الى محاكم الاحداث . فماذا يكون لو حاولنا مثل هذا التصرف فى كل يوم من أيام السنة !

وقد سبق أن بينا كذلك عمل المدرسة الراقية ، فقد وجد أنه كثيرا وكثيرا جدا ما تكون حالة الهروب من المدرسة المستأصلة فى نفس الطفل هى بداية نزعة إجرامية تظهر فيما بعد . وقد يمكن اعتبار الطفل الكثير الهروب من المدرسة سالكا سبيل الشروع فى الاجرام ، فالمدرسة الزائرة تكتشف ملكرا أسباب سوء سلوك الطفل فتأخذه الى مركز ارشاد الطفل Child guidance centre قبل أن يصبح مجرما . كذلك تستخدم منازل الدرس Study Homes كوسيلة لمنع الإجرام . ومنازل الدرس هى مؤسسات صغيرة يستقر فيها الطفل مدة قصيرة من الزمن حتى يستطيع المرشد الاجتماعى — واذا احتاج الأمر ينضم اليه الطبيب النفسانى — أن يلاحظ الطفل فى حياته يوما بيوم ، فى لعبه مع الأطفال الآخرين وفى أكله ونومه وهو يتكشف رويدا رويدا أمام أولئك المهتمين بأمره . وهناك حركة أخرى لمنع الاجرام أود ذكرها وهى ما يسمونه بنظام الأخ الكبير والأخت الكبيرة فيهتم شاب كبير أو شابة كبيرة فى العشرين أو الحادية والعشرين من العمر بطفل من تلك الفئة المكودة فيزوره مرة أو أكثر فى الأسبوع ويحاول تحبيبه فى أنواع أخرى من النشاط غير التى تنحرف به الى محاكم الاحداث .

فاذا ما اقتيد الطفل مرة الى محكمة الاحداث سواء فعل ذلك والداه أو البوليس أو ممثلو المدرسة أو أى شخص له صلة أو اهتمام بالأمر ، فإن حالة الطفل توضع تحت دراسة المرشد الاجتماعى المختص ويسمى إذ ذاك بالضابط المراقب Probation Officer وهناك طرق مستحدثة مستوفاة لهذا النوع من الدراسة تؤدى الى التفهم العميق للأسباب المستترة وراء تصرفات الطفل ، فمثلا قد يناقش الطفل عدة مناقشات قائمة على أساس الدراسات النفسية أو قد يرسل الى مراكز التسلية عدة مرات لتتأتى ملاحظة سلوكه مع باقى الأطفال ، فاذا ما انتهت تلك الدراسة اجتمع المرشد بالقاضى على انفراد وأفضى اليه برأيه ، ويتفقان بعد ذلك على وضع الطفل تحت المراقبة أو إرساله الى إصلاحية أو أى حل آخر . فاذ أودع الطفل الاصلاحية لا يطلق سراحه منها قبل أن يتحسن سلوكه تحسنا كافيا

ويوجد الآن ، كما سبق أن قررت ، مجال للخدمة الاجتماعية فى قسم توظيف الأطفال . فبين تبذل المحاولات الكثيرة لحماية الأطفال الصغار حتى من السادسة عشرة والثامنة عشرة من العمل الضار بهم أو العمل المتواصل الذى يحرمهم من حقهم فى التعليم والتسلية ، نجد هناك أيضا محاولات ترمى إلى السعى لضمان نوع من العمل لمن يرغبون فيه بعد انتهاء تعليمهم . وقد يكون من المؤلم أنه استحال إلى الآن حتى على الأمريكيين رغم اهتمامهم العظيم برعاية الطفل عندهم وضع نص فى الدستور لتحريم تشغيل الأطفال . لذلك تبذل الجهود الكثيرة هناك لمحاربة تشغيل الأطفال بتقييد شروط توظيفهم . فنجد مكتب حكومى للأطفال فى وشنطن يستعين بأولى الأمر فى المدارس والهيئات الأخرى فى تهيئة وسائل معونة الطفل على الاستمرار على دراسته ووضع الشروط اللازمة فى سبيل تشغيله . وقد أمكن حديثا سن قانون مقررات العمل المعتدل Fair Labour Standards وهو رغم عدم تأثيره على مبدأ تشغيل الأطفال فى كافة الأعمال لازال بعض سلطة لمكتب الأطفال فى وشنطن لتقرير أن بعض أنواع العمل مضرة بهم . وكم من عمل يمكن اعتباره ضارا بالأطفال إذا ما كانت النية مبيتة على محاربة أمر تشغيلهم ! وهكذا أصبح لمكتب الأطفال فى وشنطن بناء على هذا القانون أن يعتبر عمل الأطفال فى المناجم والمصانع الآلية يعرضهم للأخطار ، واستطاع المكتب أن يحرم عمل الأطفال فى محلات صنع أو توزيع المشروبات الروحية بحجة أن خطرا يهدد فيها أخلاقهم ، كما حرم اشتغال الأطفال بأى عمل آخر يستدعى تركهم لمدارس لأن فى ذلك ضررا على تعليمهم — وبوجه عام حرم اشتغال هؤلاء الأطفال فى الأعمال الزراعية غير الآلية فى مدة الإجازة الصيفية — كما يسمح المكتب بالعمل بعد انتهاء اليوم المدرسى لكل طفل بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة وحرر تصريحا للعمل — بشرط أن يكون هذا العمل حائزا موافقة المكتب .

ولكى تدعم الحكومة الأمريكية وجود العمل والمراقبة لمدرسة لشبابها أنشأت إدارة أخرى تسمى إدارة الشباب الأهلية National youth administration وتعنى تلك الإدارة بالشاب أو الشابة الذين وصلا إلى مرحلة التعليم الثانوى ويحتاجان إلى فرصة للعمل ، فإذا كانت عائلة الطفل مثلا شديدة الفقر لا تسمح حالتها بنفقة ركوبه الترام أو شرائه غذاء مناسبا فإن إدارة الشباب الأهلى تمده بنفقة " تلمذة " على أن يقوم الطفل بتقرير ذلك ببعض العمل الخفيف مثل نفض الغبار عن الكتب فى مكتبة المدرسة وما إلى ذلك ، وتصرف له مبلغا شهريا يفى بنفقته المدرسية . أما الشاب الأكبر سنا بين ١٨ — ٢١ سنة غير الملزم بالاستمرار فى المدرسة فتهيئ له هذه الإدارة عملا يشغل كل وقته ويتكفل بنفقات حياته . ومثل هذا التوظيف يزيد من تعليمه ومعارفه فى الوقت الذى يوفر للولد أو البنت رزقه لأن هذا التوظيف روعى فيه أن يساعد على تنمية موهبه ومقدرته فى أى ميدان من الميادين سواء أكان الأمر يتعلق ببناء الكبارى أم التصوير الفوتوغرافى .

ويشبه هذا النظام نظام آخر يقال له " فرق المدنيين للانقاذ Conservation Crop Civilians وهى حركة حكومية أخرى الغرض منها إعطاء الشباب فرصة تمضية بعض الوقت فى الأرياف يعيدون زراعة الغابات التى احترقت أو قطعت أو يبنون السدود لحماية التربة من عوامل التعرية . وبصفة عامة إنماء الموارد الطبيعية بجميع الوسائل .

وإنى لأرجو أن تكونوا قد لاحظتم خلال هذا البيان المطول ، الاتجاه الذى تسير فيه هذه المشروعات المختلفة لخدمة الطفولة. فقد لاحظتم أولا أن الحكومة الأمريكية قد كفلت بصفة عامة الكثير من المشاريع الجديدة خصوصا ما اتصل منها بكيان الأمة بأسرها . ولعلكم قد لاحظتم أيضا أن طريقة معالجة الحالات الفردية قد تغيرت عن ذى قبل . ولقد حاولت أن أبين لكم كيف تطور النمط الادارى الذى كانت تجرى عليه الخدمة الاجتماعية قديما والذى كان يقوم على مجرد نقل الطفل من بيئته السيئة ووضعه فى ملجأ فأصبح الآن قائما على الدراسة النفسية الفردية . فتبحث حالة الطفل للوقوف على حير الهيئات الاجتماعية لعلاج حالته وحالة بيئته . كما أرجو أن تكونوا قد تبينتم مدى ما يطرأ على هيئات الخدمة الاجتماعية من تطورات منذ تألفت. وسواء أكان هذا التطور نتيجة اندماج هيئتين أو أكثر لتصبح خدمتهما أوفى وأقل نفقة . أو كان التطور عن طريق نبذ الأساليب واستبدال أخرى بها فان هيئات الخدمة الاجتماعية لا تبرح تمعن النظر فى نظمها وأعمالها لتعرف أمثل الوسائل لتكون دائما أجدى وأنفع .

وكل رجائى أن أكون فيما قد سقته من هذه البيانات المزدحمة قد وفقت إلى الافادة وأن تكونوا قد وجدتم من بينها ما ينفع فى معالجة المشروعات الاجتماعية الكثيرة الهامة التى ننشد تحقيقها فى مصر الناهضة .

منى صدقى